الدكتور روني خليل

أمثال شعبية (الجزء الأول)

- "رجعت حليمة لعادتها القديمة !"

يحكى أن زوجة حاتم الطائي المعروف بكرمه، تدعى حليمة وكانت على عكسه مشهورة بالبخل .

وقد حاول عبثاً حثّها على زيادة المقادير على الأطمعة، وذات يوم استطاع إقناعها بأنها كلما زادت ملعقة من السمن أو الزيت أو أي نوع من الغذاء على الطعام يزيد الله في عمرها .

ومن حينها طابت مائدتها وسَخَت على ضيوفها، وذات يوم خَسِرت ابنها فتمنّت أن يُقَصّر الله من عمرها لتلحق به، وما هي إلا مُدّة وجيزة حتى دارت الفكرة في رأسها بأن تُنقِصَ من الطعام الملاعق الإضافية، وهكذا "عادت حليمة لعادتها القديمة" بالبخل وندرة الطعام ...

- "الطمع ضر ما نفع"؛

يُحكى عن خياط في الشام، كان يعمل بكدّ وجدّ، وخلال عمله يُرَدّد عبارة "قوّتي تحتي". وذات يوم سمعه أحد اللصوص فسأل نفسه عن سِرّ هذه العبارة ليفهمها، فقرر اقتحام المحل ليلاً لكي يعرف مقصد الخياط. فدخل اللص المحل ورفع السجادة من تحت كرسي الخياط فإذا بحفرة في داخلها جرّة من الذهب، فسرقها وأعاد السجادة كما كانت وهرب .

وفي اليوم التالي حضر الخياط وتابع عمله وفي آخر النهار فتح الحفرة وأنزل فيها ليرته الذهبية فإذا به لم يسمع رنين الذهب، فحزن لما آلت إليه أموره. وأخذ يُرَدّد كل يوم على مسامع المارّة : "لو خَلّيناها لَعبّيناها، لو خَلّيناها لملأناها"، فسمعه اللص وطمع في زيادة غِلّة السرقة، فدخل ذات ليلة المحل وأعاد الجَرّة لمكانها ظناً منه أن صاحب المحل سيزيد مقدار الليرات كما قال،

وفي اليوم التالي دخل الخياط فوجد جَرّتهُ فخبّأها في مكانٍ بعيد، ومن حينها قال لسامعيه العبارة الشهيرة "الطمع ضرّ ما نفع."

- "دافنينو سوا!"

يُحكى عن أخوين عاشا في أحد أحياء مصر الشعبية وكانا يتجولان بين القرى والأحياء لبيع الحاجيات معتمدين على حمارٍ أسمياه "أبو الصبر"، وقد تعلّقا به كثيراً نظراً لشدَة تحَمّله... وذات يوم مات الحمار، فحزنا عليه حزناً شديداً ودَفَناه بالقرب من بيتهما ووضعا صخرة وحفرا عليها اسمه؛ هنا يرقد أبو الصبر، بعد أن ذرفا الدموع عليه. وبينما هما على هذه الحالة، اعتقد المارّة أنهما خسِرا شيخاً جليلاً أو رجلاً صالحاً اسمه أبو الصبر. فبدأوا بتقديم النذورات والأموال ظناً منهم أنه يشفي المريض ويعيد الحبيب والمسافر ويبعد الشرور ...

وهكذا جمع الأخوان مبلغاً وافراً من المال، وبنيا مزاراً كبيراً على اسم أبو الصبر وأخفيا الحقيقة وأوهما الناس مراراً وتكراراً أنه كما اعتقدوه سابقاً شيخاً جليلاً كان له مقامه ووقاره... وذات يوم اختلفا على القسمة، فقال أحدهما للآخر؛ سأشكيك عند أبو الصبر، وكأنه بذلك اقتنع بالقصة ونسي أن أبو الصبر كان حمارهما. فضحك الأخ بشدّة وقال لأخيه هل نسيت أننا " دافنينو سوا

- "الجار قبل الدار!"

يُحكى أن رجُلا سكن مُدّة ٢٠ عاماً في بغداد مع عائلته بالقرب من جيرانه، وبعدما كبر أولاده وكلٌ مكث مع عائلته، بقي الرجل العجوز وحيداً، وقد ضاقت به هموم ومشاغل الحياة والدنيا، فاضطر لبيع بيته .

فعرضه للبيع ب ١٠٠٠ دينار، تفاجأ جاره وظنّه فقد صوابه لأن البيت لا يساوي حتى نصف هذا المبلغ. وحين دار النقاش بينهما، قال له صاحب البيت؛ بعدما أمضيت ٢٠ عاماً من البنيان اكتشفت ان السعادة مع الجيران؛ طِيبةْ وأخلاق وأخوّة، لأن البيت ليس فقط جدران، فتأثر جاره ومَدّه بالمال وحافظ على جيرته ومن حينها ضُرب المثل "الجار قبل الدار."

- "يلّي في تحت باطو مسَلّة بتنعرو :"

تعود جذور هذا المثل الشعبي إلى حكاية مفادها أنّ رَجُلين عَمِلا في مجال الخياطة، ثم دبَّ الخلاف بينهما، وبعد مدة مات أحدهما، فحضر صديق مشترك وطلب من الخياط المنهمك بترقيع ثوب، مرافقته لتقديم واجب العزاء، وعلى عجلةٍ من أمرِهِ، نسِيَ الخياط المسلّة (إبرة طويلة للخياطة) في جيب شرواله.

وخلال تقديم التعازي، بدأت المسلّة تُصدِر وخزات واحدة تلو الأخرى في منطقة حساسة من جسم الخياط، ولم يكن باستطاعته نزعها، فمزّقت جيب الشروال وأحدثت ألماً شديداً دفعه إلى الإحمرار وتغيير سمات وجهه لدرجة ذرف بعض الدموع من شدة الألم.

وفي طريق العودة، قال الصديق للخياط؛ لم أكن أعلم أن الراحل عزيز عليك لهذه الدرجة! فضحك الخياط مردداً: "أيّا عزيز أيّا بلّوط، بس يلّي في مسلّة بتنعرو"... ولتجميله أصبح المثل: "يلّي في تحت باطو مسلّة بتنعرو". وبات يُستخدم للدلالة على وخز الضمير أو رداً على كلام غير صادق .

- "منشرب القهوة"؟

قول مأثور أكثر مما هو مثل، لكن لرمزيته أردنا سرد الحادثة هنا.

بعد خلاف حاد بينهما على مسائل إدارية وتنظيمية في البلاد، ونظراً للغلاء المعيشي الذي كان سائداً، وزيادة الضرائب والظلم الذي لَحِقَ بالناس، وقع خلاف حاد بين المطران يوسف أسطفان ابن بلدة غوسطا الكسروانية (عمّه البطريرك يوسف أسطفان، ولد العام ١٧٦١م، سيمَ كاهناً سنة ١٧٩٥م وأسقفاً ونائباً بطريركياً في العام ١٨١٠م)، الداعم الأكبر للإنتفاضات والعامّيات الشعبية بوجه ظلم الحاكم وسياسة الفساد والسخرة والبطش وما إليها من سياسات تعسفية عارضها المطران دفاعاً عن حقوق وحياة الشعب ، دعاه الأمير بشير الثاني حاكم جبل لبنان (١٧٨٨م_١٨٤٠م)، إلى وليمة غداء، مبدياً من خلالها المير نيته بالمصالحة غير أن نواياه المضمرة كانت على عكس ذلك.

لبّى المطران الدعوة في شهر تشرين الثاني ١٨٢٢م، فتناول الغداء وارتشف بعده القهوة، وكان من عوائد الأمير أن يسمّمْ لأعدائه في فنجان القهوة، فما هي إلا ساعات حتى سَرى السُّم في

جسم المطران وأسلم روحه شهيداً للحرية والدفاع عن حقوق المظلومين في ٢٠ تشرين الثاني من العام ١٨٢٢م .

واستكمالاً لهذه الحادثة التاريخية، وبعد أكثر من قرن على مرورها إليكم ما حصل :

سنة ١٩٦٤ بُعَيدَ انتهاء ولاية الرئيس فؤاد شهاب، عُقدت اجتماعات في أوتيل الكارلتون _بيروت لاختيار خلف له، وكان من المُقرّر انتخاب الأمير عبد العزيز شهاب، وأثناء اللقاءات الأخيرة، وبينما كانت تُقَدّم القهوة للضيوف، سأل أحدهم "شو منشرب القهوة" فضحك الشهابي من دون أن ينطق بكلمة لا إيجاباً ولا سلباً، لعِلمِهِ بأن الضيف يريد إرباكه ب "لطشة على الناعم"، لأنه من سُلالة الأمير بشير شهاب الذي كان يُسمّم لأعدائه بالقهوة...

"أم الصبي!"

حكاية تاريخية يُعتقد أنها من زمن حكم سليمان الملك. وتقول الرواية، أن امرأتين اختلفتا على صبي، فحضرتا إلى بلاط الملك سليمان لكي يحكم بالعدل، فطلب تقطيع الصبي وإعطاء كل سيدة قطعة منه، فقالت السيدة المُدّعِية أن هذا منطق العدل في حين صرخت الأم الحقيقية وطلبت من الملك إعطاء الصبي للمرأة، فعَلِمَ حينها الملك أنها "أم الصبي ."

- "يلّي استحوا ماتوا!"

عرفت مدن الشام ولبنان الحَمّام التركي خلال العهد العثماني، وفي أحد الأيام شبّ حريق كبير في القسم المخصص للنساء وكان الحمّام مليئاً بالنسوة العاريات ... فما كان من بعضهن إلا أن هَرَبنَ عارياتٍ من الخوف...

في حين أن أخريات، ونظراً لخجلهن، فَضّلنَ الموت اختناقاً على الخروج من الحَمّام المشتعل.

ومن حينها أطلق المثل، يلي استحوا ماتوا.